Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مِنْ أولِ الليلِ قد سارت عزائمهم ... وفي خيام حمى المحبوب قد نزلوا
وَافَتْ لهم خِلَعُ التشريف يحملها ... عَرْفُ النسيم الذي من نَشْرِهِ ثملوا
هُمُ الأحبةُ أَدْنَاهُمْ لأنَّهُمُ ... عن خِدْمَةِ الصَّمَدِ المحبوب ما غفلوا
سبحان مَنْ خَصَّهم بالقرب حين قَضَوْا ... في حُبِّهِ، وعلى مقصودهم حصلوا

ويخرج أبو مدين من فاس، قاصداً مكة مع الحَجيج.. فيلتقي هناك بالإمام، باز اللّه الأشهب: عبد القادر الجيلاني. فيتم المراد بهذا اللقاء، ويرجع أبو مدين من حجته وقد نال من صحبته للإمام الجيلاني ما ارتفع به في مقامات الولاية، وما اختتم به معرفته بطريق الصوفية.. والمؤرخون لم يذكروا تاريخ هذا اللقاء، لكننا نعرف من وقائع دراستنا للإمام الجيلاني أنه ذهب للحج مرةً واحدة بعد اشتهار أمره، وقد اشتهر أمره سنة ٥٢١ هجرية بعد أن تصدَّر للتدريس والإفتاء ببغداد، مما يعني أن اللقاء تم بين أبي مدين والإمام الجيلاني حين كان الأول يبتدىء السلوك، والثاني يعتلي كرسي الولاية. المهم، أن أبا مدين ـ وهو بعدُ مبتدىء ـ كان يظنُّ أن شوقه سوف يسكن في مكة والمدينة، باقترابه من الحبيب ﷺ.. لكن الاشتياق ازداد. هنا أدرك أبو مدين ذلك المعنى الذي سوف يشير إليه تلميذه ابن عربي في عبارة رائعة ذكرها في آخر أبواب الفتوحات المكية: الشَّوْقُ يَسْكُنُ بالِّلقَاءِ، وَالاشْتِيَاقُ يَهِيجُ بالاْلتِقَاء! ولما علم أبو مدين تلك الحقيقة، قال شعراً:

[الكامل]

يا قلبُ زُرْتَ وما انطوى ذاك الجوى ... عجباً لقلبٍ بالنعيم قد اكتوى
زَادَ الغرامُ وزَالَ كُلُّ تَصَبُّرٍ ... عالجته قبل الزيارة فانطوى
ولهيبُ وَجْدٍ هَيَّجَتْهُ رَوْضَةٌ ... من أَجْلها حُلَّتْ من الصبر القوى
بل زاد شوقي للحبيب ورَامَةٍ ... والأَبْرَقَيْنِ وما لمنعرجٍ[1] لوى

(١) رامة والأبرقان والمنعرج، مواضع بأرض الحجاز.